القصص

أقصوصة من الأدب المجري

الأنشــــودة

بقلم الكاتب المجري يوليوس كرودي (١)

« أن ينفق المرء وقته في الليـل ، تحت نافذة ، ومن وراء حجاب ، ولا يعمل شيئاً إلا أن يفكر في امرأة ، أمر حاوله بلا ريب كل انسان في هذه الحياة » . والحق أنه من السخف أن تجد رجلاً رزيناً يسير في الطريق نهاراً رافع الرأس ، يُحمل من وقت الى آخر ، اذا ما جاء الليل على ارتكاب الحماقة تحت تأثير الجوى والأفكار التي تحملها الخفافيش ؛ فيذهب ليلاً ويتربص تحت نافذة ، بينما لا يشعر انسان بأمره ، وليس لعمله أي معنى ، إذ ربما كانت السيدة للنشودة تحلم في مثـل هذا الوقت بأوراق « اليانصيب ، أو تحلم برجل آخر ؛ أو يعمد الى تلاوة نظم بوشكين تحت الأشجار ، بينما لا يصغى اليه انسان سوى الليل . . . والله شهيد على انه ليس ثمة حياة أكثر خزياً وإثماً من حياة رجل عاشق ! »

دونت هذه الأسطر فيما مضى حين كنت أعتقد من الضروري أن أسطر على الورق بعض مشاعري ، في مذكرة عتيقة ذات غلاف أحمر ، وقد مرّ على ذلك زمن طويل ، وكنت يومئذ في العشرين ؛ وكنت ألاحظ كثيراً من الأشياء المختلفة التي لا أتنازل اليوم بالالتفات اليها . وكنت أحب السياحة في العربة من مدينة الى أخرى ، فكنت أحفظ أسماء نسيت أصحابها ، وأدون في مذكرتي بكل عناية ما أقف عليه في الفنادق العتيقة ، محطات أسفاري ؛ ففي فندق «الوردة البيضاء» كانت هناك آنسة خادمة تدعى فالي ، وكانت تتعلم الفرنسية خفية ؛ وسمعت صاحب حانة ليلية في الطريق الأعظم يتحدث عن الأمبراطور فرانز يوسف ، ويقول أنه مرّ وهو فتى من هذا الطريق في عربة تجرها

(١) من أعظم كتاب المجر للناصرين (١٨٧٨ — ١٩٣٣)

وتنشر ريشها ساعة الأصيل . وحينئذ يخرج الجنخ من مضجعه ويعوم بتؤدة وهوادة ، حتى اذا وصلت الى هذه الصخرة ، دفعت رأسها الى أسفل ، ونشرت أجنحتها الكبيرة أفقياً ، ورفعت زعنفتها الذنبية ، وهي كالزعانف الظهرية الخلفية والشرجية رقيقة شفافة تصعب رؤيتها في الماء . وتمكث هكذا طويلاً دون حراك ، ولا تزال الغاية من عملها هذا سراً خفياً .

* * *

البحر الأبيض المتوسط بحر النور والألوان ، ولكن الخبيرين بأحيائه يدهشهم كثيراً زهاء الألوان في أسماك البحر الأحمر عندما يزورون الغردقة — لا يقتصر ذلك على الأسماك الدقيقة ، التي تسبح كالفراش بين الشعاب المرجانية ، أو التي يجاور بعضها بعضاً في الكهوف بين المرجان — بل يتعداها الى الأسماك الغذائية الكبيرة . وقد يظن من ليس لهم خبرة الا بأسماك المنطقة المعتدلة ، أن الصور التي نشرها روبل (Ruppell) سنة ١٨٢٩ لم تكن الا محاولة ضعيفة لتصوير ألوان هذه الأسماك ، وأن فيها قدراً من المغالاة غير يسير ، اذ ما كان في استطاعة الطباعة في ذلك العصر أكثر من ذلك . والحقيقة إن روبل لم يغال مطلقاً ، بل ان معظم الصور جاءت كأدق ما يمكن عمله الآن بالطرق الحديثة ، فقد يجتمع في بعض الأحيان الأحمر والأخضر والأزرق والأصفر الى غير ذلك جنباً الى جنب في خطوط أو بقع ، دون أن يختلط أحدها بالآخر وأحياناً تمتزج هذه الألوان الواحد بالآخر في أجمل صورة . وأخرى قرمزية لا يداخلها لون آخر ، غير أن لها بريقاً فضياً يكسبها جمالاً لا تجده في أي سمكة فارقت الحياة ، مهما بلغت من الجمال في حياتها .

كيرلس كروسلاند
مدير محطة الأحياء البحرية بالغردقة

أربعة جياد ؛ وفى بلدة صغيرة تحف بشوارعها الأشجار وتتدلى أغصانها ذابلة ، وتأتى اليها أصوات الأجراس خافتة من وراء التل كأنما تأتى اليها من أجراس البلدة المجاورة ، كانت هرّة هزيلات تجوب طرقاتها يوم الخميس المقدس ، وثمة رجل فى فناء داره يشمر عن ساعديه ويحتسى النبيذ الأحمر ويقرأ فى جريدة عتيقة ، وهو كئيب كأنه متسول ترك هنالك جيش الأمبراطور ؛ وترى فوق التل أطلال كنيسة متهدمة تنعى حظها ، وعن بعد مجرى نهر يترقرق بين القصب القصير ؛ فى تلك البلدة كنت أطوف ذات مساء ، غريباً لا يعرفنى أحد ، لأن سائقى احتسى من الشراب أكثر مما يجب ، وأبى قطعاً أن يواصل السير فى ذلك الحلك الذى يغمر كل شىء .

والحق أنى لست أذكر بعد اسم تلك البلدة ، ولا بد أنها تقع فى ناحية من شمال المجر ، فقد كان لها قنطرة مغطاة ودار بلدية ذات عناصل للقديسين . وكان المطعم يسمى «الفندق الأرجوانى» فذهبت أتعشى وحيداً غريباً ، لأن سائقى أبى إلا أن يتسلل هذا المساء إلى مكان معين ، وأذكر أنى اخترقت حديقة صغيرة ؛ وكان ثمة فى المقهى الصغير محصلة تقرأ جريدة مصورة وهى تعتمد رأسها بيديها اللتين تغوصان فى شعرها المهدل ووراء باب مدهون باللون الأبيض يبدو فناء صغير يجلس فيه بعض الموظفين فى صديريات سود وهم يدخنون « السيكار » إلى جانب الكؤوس الصغيرة ؛ وكنت تسمع عن بعد شخصاً لعله طالب ينفخ فى مزمار ، ويغنى تلك الأنشودة التى أولها : « إذا ما ابتعدت يا حبيبتى » فقلت لنفسى : أجل توجد هنا أيضاً قلوب ، وتوجد عواطف . . . وكان ذلك مساء ربيع ، وربما كان الطالب المذكور قد رسب فى الامتحان

وكانت الحديقة تمتد جانباً فى قفر مطبق ، يذكرك بقفر فناء المحكوم عليهم . ولا بد أنها تكون فى العصر منتجع الشيوخ ، والضباط أو ذوى المعاشات ، يفكرون فى موتاهم أو فى خليلاتهن القديمات ؛ وكانت أشجار الصنوبر التى ترتفع فوق كل مقعد هزيلة محزنة كأنها حياة تصرمت وانطفأت فى غمار السل ؛ وكان يعمر هذه المقاعد أحذية عتيقة وسترات خرجت عن الثرى ، وفوق الحصى الصغير الذى يغطى الممشى ، ترسم العصى الباهتة التى ربما كانت فى شبابها أيدى مظلات ، خطوطاً ذاهلة

جلست على مقعد ، وأخذت أفكر فى شتى الأمور المحزنة : فى نساء البلدة المسكينات اللاتى يرتدين أثواباً شديدة الخفيف ويبكين أكثر مما يضحكن ، وفى الرجال الحزانى الذين يتجملون توقعا لرؤية الأميرة الحسناء ، ولن تأتى الأميرة قط ، وفى المحاذثات العقيمة التى تدور حول المائدة المقفرة أو فى السرير المضنى لمعرفة من هو أغنى انسان فى البلدة ؟ وفى الشهر القادم ستأتى فرقة تمثيلية الى « الفندق الأرجوانى » . . . وكثيراً ما يعرف الأزواج أن لزوجاتهن عاشقا !

آه ، تباً لحياة البلدة الصغيرة من حياة محزنة ذات رائحة كرائحة كسرات الخبز ؛ وفيها يضج المرء بالضحك ، ولكنه لا يستطيع أن يتناول فيها عشاءه . رباه ، إن النساء هنا لا يتكلفن العناية بالنظافة ، إذ يستوى ذلك عند الرجال .

شعرت أننى جد تعس ، إذ قضى على أن أضيع وقتى فى تلك النزهة الحقيرة المحزنة فى البلدة الصغيرة ، بدلاً من أن أجلس فى مقهى نخم فى مسكولك أو كاسا أو بودابست .

وكانت نغمات المزمار قد انقطعت حيناً ، ولكنها عادت تدوت فى الحديقة ذاتها . وإذن فقد كان الموسيقى الفتى موجوداً هنالك ؛ وكان يقوم فى ركن المكان الى جانب الحاجز منزل عتيق له نوافذ صغيرة جدا ، حتى لا يتسنى لغير رأس امرأة رشيق جدا وهزيل جدا أن يبرز منها

وكانت النجوم منورة لا تسطع فى ذلك المساء المظلم ، وربما لم تك ثمة نجوم فوق تلك البلدة الموحشة . وكان هنالك مصباح زيتى ينشر ضوءه ، ويتأمل ذات اليمين وذات الشمال وجلاً كأنما يخشى أن يقيم رجال المطافىء احتفالهم فى تلك الليلة ، وعلى بعد تقوم منازل ضيقة ، لا يعمل ساكنوها بلا ريب شيئاً طول حياتهم إلا أن يقتصدوا وأن يبكوا ، ولا يفكر نساؤها منذ العشرين فى شىء سوى غسل الثياب

وكان صاحب المزمار يعزف أنشودة محزنة تحت الأشجار ، ولا ريب أنه كان يقصد بعزفه ماوراء الحاجز ، وربما كانت لأنشودته صبغة غرامية ، وربما كان مؤلفها الشاعر المتوفى يحيى فيها القمر أو الصبية ذات العينين البراقتين ؟ بيد أننى لم آنس

فيها شيئاً غـــير الذلة والمرارة والفقر ، والسلوة الوحيدة لفتى مسكين من القرية . . . رباه ، وكنت قد عرفت يومئذ خادمات فرنسيات .

وأخذت الموسيق تنحـدر الى الأنين شيئاً فشيئاً ، وكانت الأنشودة تضرع تضرع السائل ، الى سيدة لاتريد — وربما كانت أيضاً حمقاء آثمة — أن تمنى من فوق الحاجز الى اعتراف فتى ، لعله فى ظروف أفضل كان يصلح أن يكون فارساً فى ملعب ، أو صاحباً فى حانة ليلية فى بودابست يلقى على الثانيات أجوبة ساخرة . . . كان المزمار يئن كالمرأة المريضة ، وكأنك ترى وجهاً شاحباً لفتى تعس لايملك من المال ما يمكنه من التلهى بلعبة « الخشب » (لعبة مجرية قومية) ، وكان البؤس المؤلم الساحق والثياب الخلقة ، والمستقبل الذى ينذر بما هو أشنع ، كلها تبكى فى الأنشودة ، ذلك المستقبل الذى ربما استجابت فيه السيدة الخفية الى التضرع ، وأتت للفتى البائس بعدة أولاد لاخير فيهم

نهضت من مكانى وسرت لأبحث عن ذلك الفتى الذى يعزف بزماره بين الأدغال

وقد كان حدثاً ذا محيا حزين بائس ، وربما كان كاتب مسجل فى البلدة ؛ وكان مكشوف الرأس ، وشعره الأشقر كث منفوش قائم كالمسامير

فقلت له بمنتهى الخشونة : عد الى منزلك ، ولا تسمم هواء هذه الحديقة ؛ ألا تشعر بالخزى إذ تذل نفسك على هذا النحو من أجل امرأة ؟

ثم هرولت فأيقظت سائق من سباته ؛ وفى الليلة نفسها غادرت البلدة الصغيرة ، التى شعرت فيها بثقل ذلك الأسى من جراء عازف سخيف .

الرسالة فى شهور الصيف

تسهيلا لوصول الرسالة الى قرائها مدة العطلة تقبل الادارة الاشتراك الشهرى بواقع أربعة قروش عن كل أربعة أعداد تدفع مقدماً

٥ — سافو

لأوجيه اميـــل

ترجمة الأستاذ محمود خيرت

حنا — لنر الآن ماذا أكتب إليك : « لا أنسى عطفك على بزيارتى يافنى » ولكن متى كان ذلك (يقرأ) إبريل من هذه السنة . . إذن فقد أقمت على زيارته وأنت معى . . .

فنى — شفقة به وحياتك عندى

حنا — (يقرأ) : « وإنى أفكر الآن فى أمر ولدنا . . » ولك منه ولد ؟

فنى — نعم . فماذا تريد الآن

حنا — ها . ها . ما أكبر فخرك بهذه البقرة التى تبتبت فى السجن !

فنى — (صارخة شاخصة فى غضبها) لاتزد على ذلك حرفاً

حنا — وما أجمل طفلاً أبوه فرومان وأمه سافو !

فنى — لاتسبه فهو ولدى

حنا — (وقد غلبته صرخة الأمومة) حسناً

فنى — (بصوت مخنوق) قضى الأمر بيننا ، فعد إلى أهلك لعلك تسعد إلى جانبهم

حنا — يالك من قذرة !

فنى — يالأمك وابنة عمك من حواصير !

حنا — ماذا ؟ (يهم بضربها تحتقره هازة كتفيها)

فنى — حقيقة إنك نذل . أخرج الآن من هنا

حنا — على هذا عزمت (يأخذ حقيبته وعند ما يصل الى الباب يلقى الخطاب فى وجهها ثم يخنق فتتناوله وتضعه فوق المائدة وهى تبكى وتنشد)

فنى — ظلمونى وأسرفوا حين تموا وأرجفوا
كم تخيلت أنـــه ذو شعور فيعطف
فاذا الطبع واحـــد دب فيه التعسف
وإذا من بذكره كنت فى الحب أهتف
حانث فى يمينــه واعـــد وهو مخلف
قضى الأمر لم يعد لى من الناس منصف

الفصل الرابع

(فى أفيون منزل أسرة جوسين الى اليمين ، وله حديقة يشرف فى الجهة اليسرى ، وعلى بعد نهر الرون . والأشخاص حنا ووالداه وإيرين ثم سافو وهم عدا سافو على المائدة حيارى لحزن حنا ، وعندئذ تشير ديفون اشارة فيخلو المكان إلا منها ومن ولدها .)

ديفون — مالك ياحنا ؟

حنا — أمى !

ديفون — (تمسح رأسه بكفها) لِمَ تشكو ياولدى ؟

حنا — لا أدرى !

ديفون — لا تكذبنى . أحدث لك حادثٌ هناك ؟

حنا — كلا . ياأمى

ديفون — إذن لِمَ تعجّلت العودة حتى كأنك فررت إلينا فراراً ؟ .

حنا — لا ، لاشىء يا أمى

ديفون — لعل امرأة خدعتك أو حباً غير موفق صادفك ؟ . لاتخف عن أمك شيئاً ياحنا . إنك لاتجهل مالك فى فؤادها من الحب .

حنا — أمى . ما أخطأتِ ولكنى شُفيت

ديفون — أصدقنى ياحنا

حنا — كانت ياأماه ثورة ولكنى نسيتها ، فهل أستحق بعد ذلك صفحك عنى ؟ .

ديفون — وماذا فعلتَ مما يستوجب صفحى ياولدى ؟

حنا — آه ليتك ياأماه تنزلين الى أعماق نفسى ؟

ديفون — إن حنو الأمهات يخترق الحجب فتنكشف لهن الأحزان والدموع

حنا — ليقاسمن أبناءهن إياها

ديفون — نعم يابنى حتى تغسلها قبلاتهن . تشجع ياحنا واذا عادت اليك همومك فاستحلفك ألا تكتمها عنى

حنا — سأفعل ياأماه ودعينى أضمك

ديفون — نعم . نعم تعال فادفن همك عند صدرى (يضمها)

حنا — الآن خف حمل ألمى . وهدأت ثورتى . وربما أخطأ الحزن بعد ذلك طريق قلبى مادمت الى جانبى

ديفون — اذن أدعك لأزف الى أبيك هذه البشرى ، فانه يطرب اذا رأى نور السكينة يتلألأ فى عينيك

حنا — نعم أسرعى اليه ياأمى (تخرج أمه)

ايرين — (مقبلة على حنا) ماذا يحزنك يا ابن عمى ؟

حنا — لست السبب على كل حال يا إيرين

ايرين — ألستُ صديقتك . أنسيت مريم ويوسفَ ؟. إننى ساعة الأسى أندفع الى صدر صديق تذيب حرارته همى ويطرد حديثه وحشتى

(يدخل سيزار)

سيزار — (مسرعا اليه) حنا

حنا — (مندفعاً اليه) أبى

سيزار — (لأيرين) اذهبى أنت لديفون

ايرين — ولِمَ لاأبقى ؟

سيزار — قلت لك اذهبى

ايرين — كأنك غاضب على ؟

سيزار — لا . ولكن دعينا الآن (تخرج حزينة)

(لولده) آه ياولدى المسكين . إنها هنا . . .

حنا — (مضطربا) هنا ؟ أوعادت ؟

سيزار — نعم وتلحُّ فى أن تراك !

حنا — سافو ؟

سيزار — نعم هى ياولدى . أحسبتنى عميت عن أمرها وأنت تكتمه عنا . ولكن تشجع عند مقابلتها ياحنا

حنا — سأكون عند نصيحتك يا أبى ، ولقد كنت من برهة أنتفض وأتلوّى . أما الآن فسأستقبلها بقلب ثابت . نعم نعم يا أبى (سيزار يخرج وتتقدم سافو بخطى بطيئة وهى تنظر حولها حتى إذا وقع بصرها عليه أسرعت نحوه ثم وقفت فجأة)

سافو — (بعد سكوت طويل) لا تعتب على إنى عدت وما ودعتك الوداع الأخير . وقد كنت وأنا بعيدة عنك أشعر بألم خفى يعذبنى . أما الآن وقد رأيتك فقد ذهب ألمى .

حنا — إننى لا أحمل لك فى نفسى غلاً

سافو — (والألم يرجها) ماذا ؟ آه لو تعلم كم بكيت وكم

[البقية فى أسفل الصفحة التالية]